مظاهر النفاق العملي في القران الكريم و السنة النبوية

Manifestations of Practical Hypocrisy in the Quran and the Prophetic Tradition

Abdur Rehman
PhD Scholar, Senior Lecturer, Department of Islamic Studies,
Riphah International University Islamabad
Email: abdur.rehman@riphah.edu.pk
Ahmed
PhD Scholar, Lecturer, Department of Islamic Studies,
Riphah International University Islamabad
Email: ahmed.is@riphah.edu.pk
Naeem Ullah Farooq
PhD Scholar, DIS, Riphah, Islamabad,
Visiting Lecturer University of Sargodha
Email: hafiznaeemmah387@gmail.com

Abstract
The one who investigates the verses of the Noble Qur'an finds this fact prominent because it deals with the issue of hypocrisy and hypocrites from several angles. Sometimes he forbids the creation of the morals of the hypocrites, and sometimes he focuses on explaining their characteristics, flags and crafts, and sometimes he mentions them with the polytheists and the Jews in opposing God and His Messenger - may God's prayers and peace be upon him - and committing major sins. And grave sins, and the supreme purpose of explaining the noble verses is to clarify the disease of hypocrisy and its nature and to avoid falling into it or entering into its presumptions, and to completely abandon the despicable characteristics of the hypocrites, and their heinous actions.
Keywords: Nusus (Quran and Hadith), Hypocrisy, Illness, Society

التمهيد:

النفاق مصطلح شرعي، والمصطلحات الشرعية تتميز بأنها ذات دلالة واضحة ومحددة، لأنها معايير شرعية لها قيمتها في وزن الأشخاص والأحداث، فالقرآن الكريم قسّم الناس إلى مؤمن وكافر ومنافق، ولكل من الثلاثة صفات محددة ومعينة وثابتة ودقيقة لا تقبل التلاعب فيها، ولا مجال فيها للخلط أو التمييع.

وقد وردت عدة معاني للمفهوم الشرعي للنفاق في كتب متنوعة لمختلف العلوم مثل كتب التفسير والحديث والعقيدة والتوحيد وكتب اللغة، وهذه المعاني متماثلة في مضمونها، ومتقاربة في ألفاظها، والسبب

في ذلك أن العلماء قد استخرجوا تلك المعاني من النصوص الواردة في الكتاب والسنة، ومن تلك المعاني التي وردت في تعريف النفاق أنه:

1- قال ابن كثير[1]: "إظهار الخير وإسرار الشر"[2].

2- "الدخول في الشرع من باب، والخروج عنه من باب"[3].

3- هو "اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج"[4].

وهذا التعريف –مع اختصاره– جامع مانع في تعريف النفاق، وهو الأنسب في رأي.

وهنا لابدّ من الإشارة أن اسم المسلمين يجري في الظاهر على المنافقين، لاستسلامهم الظاهر وإتيانهم بالأعمال الظاهرة كالصلاة والصوم والزكاة والحج، وقد يجتمع في المرء إيمان ونفاق، وبعض شعب وأعمال الإيمان وبعض أعمال الكفر كما أشار إلى ذلك الإمام ابن تيمية[5] في فتاواه[6].

المبحث الأول: صور النفاق العملي كما جاءت في القرآن الكريم

إن المستقصي لآيات القرآن الكريم يجد هذه الحقيقة بارزة أنه يتناول موضوع النفاق والمنافقين من عدة زوايا، فأحيانا ينهى عن التخلق بأخلاق المنافقين، وأحيانا يركز على بيان صفاتهم وأعلامهم وصنائعهم، وأحيانا يذكرهم مع المشركين واليهود في مخالفة الله ورسوله –عليه الصلاة والسلام– وارتكاب المعاصي الكبيرة، والذنوب الجسيمة، والغرض الأسمى من بيان الآيات الكريمة هو توضيح مرض النفاق وماهيته والاجتناب عن الوقوع فيه أو الولوج إلى مظانه، والتخلية كل التخلية عن صفات المنافقين الوضيعة، وأفعالهم الشنيعة.

ويجد الباحث أن القرآن الكريم تناول لفظ (النفاق) وما اشتق منه ستا وثلاثين مرة، واستعملت في كل المرات بالمعنى الاصطلاحي؛ أي المراد منه النفاق الأكبر (النفاق العقدي)، وتصل عدد السور التي تحدثت عن النفاق والمنافقين إلى ست عشرة سورة، ومعظمها في الغالب سور مدنية بالإجماع إلا سورتين هما "سورة النساء" و"سورة محمد"؛ وأرجح أقوال العلماء –التي وصل إليها الباحث– فيهما أنهما مدنيتان[7]، وسورة واحدة هي "سورة العنكبوت"، والصحيح فيها على رأي معظم العلماء[8] –ويرى الباحث هذا الرأي– أنها من أواخر ما نزل بمكة المكرمة؛ إلا آياتها الأُوَل –وهي التي فيها لفظ "المنافقين"– فإنها نزلت بالمدينة النبوية.

وأما ما قاله الإمام ابن رجب –رحمه الله– : "ومن أعظم خصال النفاق العملي أن يعمل الإنسان عملا ويظهر أنه قصد به الخير، وإنما عمله ليتوصل به إلى غرض له شيء فيتم له ذلك ويتوصل بهذه الخديعة إلى غرضه ويفرح بمكره وخداعه وحمد الناس له على ما أظهره... وهذا قد حكاه الله تعالى في القرآن الكريم

عن المنافقين واليهود.. فحكى عن المنافقين أنهم ﴿ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[9]... وأنزل في اليهود: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [10] وفي حديث ابن مسعود –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– (من غشنا فليس منا) [11] والمكر والخديعة في النار، وقد وصف الله المنافقين بالمخادعة.. "[12].

أرى أن هذا الدليل الذي استدل به من القرآن الكريم على النفاق العلمي السلوكي من القرآن الكريم إنما قصد به الشبه والترادف القائم بين النفاق العلمي وبين النفاق الاعتقادي، وأن الذي يعمل من المسلمين عملا يظهر أنه ينوي به الخير؛ وإنما عمله ليَصِل به إلى غرض له قبيح وسيء؛ فقد أشبه المنافقين في صفة من صفاتهم وخصالهم، وتصير بذلك الآيتان الكريمتان اللتان استدل بهما منصرفتين إلى النفاق الأكبر الإعتقادي لا إلى النفاق الأصغر السلوكي –والله أعلم.

والآيات الكريمة التي تناولت موضوع النفاق أو صفات المنافقين؛ لا تعني بأن هذه الصفات المذكورة خاصة بالمنافقين أصحاب النفاق الأكبر (النفاق العقدي)؛ بل قد يقع المؤمن في هذه الصفات أيضا؛ لكن ليس بالدرجة أو الاستمرارية التي يقع فيها المنافق العقدي –فلا يخرج المؤمن عن الملة بل يضعف إيمانه– ، فمثلا (الخلف في الوعد) صفة من صفات المنافقين وذكرها القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [13]، فهنا الخلف في الوعد من قبل المنافقين (أصحاب النفاق الأكبر) غير الخلف في الوعد الذي قد يقع من بعض المؤمنين، فالمنافق يدوم ويستمر على إخلاف وعده حتى في الوعود الوثيقة التي قطعها على نفسه وأمام ربه تعالى ورسوله الكريم –عليه الصلاة والسلام– ويخلف الوعد في أمور دينه وعقيدته، أما المؤمن فقد يعد شخصا على زيارته فيخلف عنها، فهنا في كلتا الحالتين –في حالة المنافق وحالة المؤمن– وقع الخلف، لكن خلف المنافق في وعده غير خلف المؤمن فيه، وهذا لا يعني بأن الإخلاف في الوعد أمر هين؛ فالمداومة عليه وتحريه قد يفضي بصاحبه إلى النفاق الأكبر –أعاذنا الله منه–.

فالإصرار على صفات المنافقين أصحاب النفاق الأصغر (النفاق العلمي السلوكي) والتحلية بها والتحريّ في طلبها؛ يدفع صاحبها إلى النفاق الأكبر (النفاق الإعتقادي)، وذلك كما قال النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم– : ((إِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)) [14] فإذا اعتاد المرء على هذه الصفات القبيحة أو صفة منها وجعلها قبلته، فإنها تدفعه إلى اقتراف صفات أكبر جرما منها وأكثر شناعة، والتي تسلك بصاحبها سبيل النار، فهذا اختلاف بين السر والعلانية في الواجبات –مثل عمل شيء من

أعمال المنافقين؛ مع بقاء أصل الإيمان في القلب– لا يخرج صاحبه من الملة، ولا يُنفى عنه مطلق الإيمان، ولا مسمى الإسلام، وهو معرّض للعذاب كسائر المعاصي، دون الخلود في النار، وصاحبه ممن تناله شفاعة الشافعين بإذن الله تعالى.

لذا سأورد في الفقرات التالية بعض أهم الصفات للنفاق العملي التي تناولتها آيات القرآن الكريم.

الصفة الأولى: الكذب

قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [15]، قال الإمام الطبري: "إنما كذب ضميرهم لأنهم أضمروا النفاق، فكما لم يقبل إيمانهم، وقد أظهروه، فكذلك جعلهم كاذبين، لأنهم أضمروا غير ما أظهروا"[16]، وقال الإمام ابن كثير: "أي : فيما أخبروا به ، وإن كان مطابقا للخارج؛ لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ; ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم"[17].

فالمنافق العملي أيضا يخبر عن الواقع بخلافه، لذلك كان الكذب أصل الرذائل وجماع كل شر، لما يفضي إلا الإضرار بالآخرين، ونشر الشر والعداوة بينهم.

وقال –عزوجل– : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [18].

في هذه الآية يوبّخ الله المنافقين الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك، وأظهروا أنهم ذوو أعذار –ولم يكونوا كذلك– ، فيقول سبحانه لنبيه –عليه السلام– لو كان خروجك في سفر قريب ولغنيمة سهلة لخرجوا معك، لكن المسافة بعدت عليهم، فإنهم –أي المنافقون– سيحلفون لكم عند رجوعكم بأنه لو لم تكن لنا أعذار لشاركنا معكم ولخرجنا معكم، ثم يقول سبحانه: بأنهم يهلكون أنفسهم بعملهم الشنيع؛ –وهو الكذب– وعدم مطابقة واقع حالهم مع كلامهم بألسنتهم، وأنهم كاذبون في زعمهم أنهم لو استطاعوا الخروج لخرجوا معكم.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [19] أي: يوم يبعث الله الخلق يحلف له المشركون والمنافقون بأنهم كانوا على الهدى والاستقامة والصراط المستقيم، كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا بحيث كانوا يخفون باطنهم ويتظاهرون بالإسلام والصلاح؛ ويعتقدون أن ذلك ينفعهم أمام الله عزوجل كما كان ينفعهم ذلك أمام الناس؛ لإجراء الأمور على ظاهرها، ثم يأتيهم الله تعالى من حيث لا يشعرون، وهو أنه سبحانه وتعالى أعلم بحقيقتهم وهو المطلع على سرائرهم دون الناس، فحينئذ يظهر أصلهم وحقيقتهم، ألا وهو الكذب على الناس، وخلط الأمور عليهم.

فالمنافق العملي يكذب في حديثه أمام الناس، ويحسب أنه ينطلي ذلك ذلك وأنه ينتفع بذلك، لكن الحقيقة هي أن كذبه ليس خافيا عن مولاه —جل في علاه– وأنه مطلع على سرائره وما تخفيه الصدور.

وقال الإمام ابن القيم —رحمه الله تعالى– : (إياك والكذب؛ فإنه يفسد عليك تصور المعلومات على ما هي عليه، ويفسد عليك تصويرها وتعليمها للناس) [20].

وعند التمعن في أدلة القرآن الكريم والسنة الشريفة نجد أنها لم تحرم الكذب إلا لما تحتوي على أضرار جسيمة وآثار سيئة، بحيث أنه يخبر بخلاف الواقع فيقرب البعيد، ويبعد القريب، ويذهب بالمروءة، ويهدي صاحبه للفجور والنار، ويعرضه للإهانة، و "الكاذب يصور المعدوم موجودًا، والموجود معدومًا. والحقَّ باطلًا، والباطل حقًّا، والخير شرًّا والشرَّ خيرًا، فيفسد عليه تصوره وعلمه عقوبة له، ثم يصور ذلك في نفس المخاطب"[21] .

الصفة الثانية: إخلاف الوعد.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [22].

قال الإمام ابن كثير: "أي: أعقبهم النفاق في قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم ، كما جاء في الصحيح ، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان"[23][24]. فإخلاف الوعد من صفات المنافقين التي يجب البعد كل البعد عنها، لأنها تدفع بصاحبها إلى إخلاف الوعد حتى مع ربه الذي أمر بإيفاء الوعد والعهد حتى مع الكافرين، فيجب إخبارهم بنقض الوعد والعهد معهم مسبقا؛ وكيف سيكون حال من يخلف الوعد من المؤمنين من عباد رب العالمين!، لذا قال النبي الكريم —صلى الله عليه وسلم– فيما روت أم المؤمنين عائشة —رضي الله عنها– "إن خيار عباد الله الموفون المطيبون"[25] أي من أفضل عباد الله وخيارهم الذين يوفون بوعدهم، ويعاملون الناس بلين ولطف وتسامح.

وقال الإمام ابن حزم[26] مبيناً فضل الوفاء وذم خلف الوعد: (إنَّ من حميد الغرائز وكريم الشيم وفاضل الأخلاق... الوفاء؛ وإنَّه لمن أقوى الدلائل وأوضح البراهين على طيب الأصل وشرف العنصر، وهو يتفاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات... وأول مراتب الوفاء أن يفي الإنسان لمن يفي له، وهذا فرض لازم وحق واجب... لا يحول عنه إلا خبيث المحتد، لا خلاق له ولا خير عنده) [27].

الصفة الثالثة: الخيانة.

قال جلا في علاه : ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [28].

قال الحافظ ابن كثير: " يقول تعالى محرضا لنبيه عليه السلام على المنافقين : (لقد ابتغوا الفتنة ...) أي: لقد أعملوا فكرهم وأجالوا آراءهم في كيدك وكيد أصحابك وخذلان دينك، وذلك عند قدوم النبي —عليه السلام– المدينة، حيث حاربه العرب واليهود والمنافقون مجتمعين، فلما نصره الله تعالى دخل المنافقون في الإسلام ظاهرا لعدم قدرتهم على محاربته في العلانية، فكلما أعز الله الإسلام وأهله غاظهم ذلك وساءهم. فكان المنافقون يخونون رسول الله —عليه السلام– حيث كانوا يظهرون الإيمان ويتبجحون به، بينما هم في الخفاء على كفرهم ومعاونتهم لليهود والمشركين ضد المسلمين، فهذه خيانة النفاق العقدي تشابه خيانة النفاق العملي في التملص من المسؤولية، وتضييع الحقوق وعدم رد إلى أصحابها، وإخفاء الحقيقة عن حقيقتها"[29].

لذا كانت الشريعة الإسلامية واضحة في بيان أحكام التعامل بين المسلمين؛ حتى مع الكافرين الخارجين عن أمر الله وشريعته، فأمرت بإخبار العدو بانتهاء العهد معهم، قال سبحانه:

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ[30] .

قال الإمام الطبري: "يقول تعالى ذكره: وإما تخافنَّ يا محمد —عليه السلام– من عدوٍّ بينك وبينه عهد وعقد وتخاف أن ينقض عهده، ويغدر بك، فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنَّك قد فسخت العهد بينك وبينهم؛ بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم، حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ من الغدر. (إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ) الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر، فيحاربه قبل إعلامه إياه أنه له حرب وأنه قد فاسخه العقد"[31].

الصفة الرابعة: الغدر.

﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ [32].

في هذه الآية الكريمة يذكّر الله المنافقين بما كانوا عاهدوه من قبل هذا الخوف، ألا يولوا الأدبار ولا يفروا من الزحف، فغدروا في عهودهم، ونكثوا فيها، فخوّفهم الله سبحانه بأنه سيسألهم عن ذلك العهد، ولا بد من ذلك، فكذلك المنافق العملي يعد بشيء ثم يغدر فيه، ينكث بعهده للناس، وهذا ما يحط قدره ومنزلته بين الناس.

ويقول تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [33].

قال الحافظ ابن كثير: "يقول تعالى : ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه : لئن أغناه من فضله ليصدقن ولينفقن من ماله ، وليكونن من الصالحين المنقادين لأمره . فما وفى بما قال ، ولا صدق فيما ادعى ، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن في قلوبهم واستقر في أعمالهم إلى يوم يلقون الله – عز وجل – يوم القيامة"[34].

لذا كانت السنة النبوية تحث على الوفاء بالعهد وبحفظ الأمانة، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ"[35]. وفي حديث آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ»[36]، ويلاحظ في الحديث أن الخيانة حاضرة في هؤلاء الثلاثة كلهم؛ فالغادر خائن، ومن باع حرا فقد خانه، ومن لم يوف الأجير حقه فهو خائن له؛ فكانت هذه أفعال المنافقين الخونة الغدارين، والنبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى أصحابه من الغدر حتى في حال الحرب والجهاد مع الكافرين، ومن وصيته في ذلك: "اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا"[37] .

وأهل الغدر والخيانة مفضوحون يوم القيامة كما قَالَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ»[38] .

قال الأبشيهي[39] –بينا قبح الغدر– : (أيُّ سوء أقبح، من غدر يسوق إلى النِّفاق، وأيُّ عار أفضح، من نقض العهد إذا عُدَّت مساوئ الأخلاق) [40].

فالذين يتصفون بالغدر هم بعيدون كل البعد عن كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ومنهجه، كما تتسبب صفة الغدر في تشبيه أصحابها باليهود الذين ترسخ فيهم نقض العهود والمواثيق، وتضيع صفة الغدر المروءة في صاحبها، وتسلط أعداءه عليه وما يتبع ذلك من السيطرة على البلاد، واستنزاف الخيرات والثروات، وتغيير هوية الأمة وقيمها وأخلاقها وثقافتها، قال تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[41] .

قال محمد بن كعب القرظي رضي الله تعالى عنه: (ثلاث خصال من كنَّ فيه، كنَّ عليه: البغي، والنكث، والمكر)[42].

الصفة الخامسة: الفجور في الخصومة.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [43].

فهذه الآية تفضح حال المنافق الذي يعجبه قوله في الحياة، ويأخذه الغرور أنه يشهد الله على ما يقوله بأنه يوافق ما في قلبه، وهو شديد الخصومة مع الناس، فيكذب في حديثه، ويزور عن الحق ولا يستقيم، ويفجر ويفتري، مصداقا لقول الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– : " آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر"[44]، وقال عليه السلام: " أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم"[45]، ففي هذا الحديثِ تَحذيرٌ ووعيد شديدٌ للمتَّصفِ باللَّدد في الخُصومةِ، وأنَّه أبغضُ الرِّجالِ إلى اللهِ سبحانه، والألدُّ الخَصِمُ هو: المولَعُ بِالخُصومةِ المحب لها، الماهرُ فيها والدائمُ فيها كذلِك، وإنَّما كان الألد الخصم هو أبغضَ الرِّجالِ إلى اللهِ تعالى؛ لأنَّه يُجادلُ عَنِ الباطلِ، وذلِك يَحمِل على ضَياعِ الحقِّ، والمطْلِ بالحقوقِ وظُلمِ أصحابها، ونُصرةِ الباطلِ.

وللفجور آثار عظيمة تعود على المرء في الدينا والآخرة، فهي من الطرق المؤدية إلى النار كما قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((وإنَّ الفُجُور يهدي إلى النَّار))[46]، وهي دليل على خِسَّة النَّفس، ودنائتها، وانحطاطها الأخلاقي، وأنها مفضية لنبذ صاحبها من قبل الناس وتجعله ممقوتا منهم، كما أنَّ هذه الصِّفة ليس ضررها خاصا ومحصورًا على الفاجر وحده، بل إنَّ تداعيات فجوره قد تُلْحِق الشر والأذى على الأفراد وعلى المجتمع.

فباستقراء جميع آيات القرآن الكريم التي تناولت موضوع النفاق نجدها كلها بدون استثناء أنها تناولت القسم الأول من النفاق، الذي هو النفاق الاعتقادي أو النفاق الأكبر، ولا توجد منها آية واحدة تكلمت أو تناولت القسم الثاني من النفاق، أي النفاق العلمي السلوكي أو ما يسمى النفاق الأصغر.

المبحث الثاني: صور النفاق العملي في السنة النبوية:

تناولت السنة النبوية الشريفة موضوع النفاق العملي بكل وضوح، وذلك لما أُوتِيَ النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم– من جوامع الكلم[47]؛ وعند التتبع والاستقراء توصّلت إلى أنها –أي السنة النبوية– تحدّثت عن النفاق العملي السلوكي في ثلاثة أحاديث، وهي الأصل في هذا الباب، وروى الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما– حديثَين منها، وروى الصحابي أبو هريرة –رضي الله عنه– حديثا واحدا منها، وهي على النحو الآتي:

الحديث الأول:

عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" [48].

الحديث الثاني:

عن ابن عمرو –رضي الله عنهما– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "أربع من كن فيه كان منافقا أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[49].

وفي رواية " ... فقال رجل: يا رسول الله، ذهبت اثنتان وبقيت واحدة؟ قال: فإن عليه شعبة من نفاق ما بقي منهن شيء "[50].

وفي رواية أخرى: " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها.."[51].

الحديث الثالث:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، عن النَّبِي –صلى الله عليه وسلم– قال: ((آيَةُ المَنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)) [52].

أبرز ما يستفاد من الأحاديث الثلاثة المذكورة:

1- بيّن الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– صفات المنافقين لأمته، وتحذيره إياهم من التخلّق بأخلاقهم.

2- ذكر النبي –عليه الصلاة والسلام– أربعاً من صفات المنفاقين؛ وهي: الخيانة في الأمانة، والكذب في الحديث، والغدر في العهد، والفجور عند الخصومة .

3- الحثّ على التوبة النصوح إلى الله عزوجل من صفات المنافقين المذكورة.

4- عدم التسارع في الحكم على الناس عند ارتكابهم بعض الأخطاء؛ فقد يكونوا معذورين.

5- أباحت الشريعة الإسلامية الكذب في ثلاث حالات؛ لحديث أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها قالت: "رخَّص النبي –صلى الله عليه وسلم– من الكذب في ثلاث: في الحرب، وفي الإصلاح بين الناس، وقول الرجل لامرأته"[53].

6- التحلي بالصبر والتأني في الكلام، والقول بالتي هي أحسن.

ونستنتج من هذه الأحاديث الثلاثة المذكورة خمس خصال هي أصول النفاق العملي السلوكي، وهي الآتية:

1- الكذب في الحديث

2- الخلف في الوعد

3- الغدر في المعاهدة

4- الفجور في الخصومة

5- الخيانة في الأمانة

❖ **إشكالية وجود خصال النفاق العملي السلوكي في المسلم:**

اعتبر بعض العلماء الأحاديث المذكورة في النفاق العملي السلوكي مشكلة من حيث إن هذه الخصال المذكورة التي عدّ النبي الكريم –صلى الله عليه وسلم– المتصف بها جميعا منافقا خالصا، أو من كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها.

أقول: عدّ العلماء الكرام هذه الأحاديث مشكلة من حيث إن الخصال المذكورة فيها قد توجد في المسلم الذي لا شك في إسلامه، أو في المسلم المجمع على عدم الحكم بكفره.

وقد بيّن العلماء المحققون هذا الإشكال من عدة وجوه:

- الوجه الأول: أن الخصال المذكورة خصال النفاق، وأن صاحبها شبيه بالمنافقين، ومتصف بأوصافهم ومتخلق بأخلاقهم، لا أنه منافق في الإسلام، واستدلوا لكلامهم بما يلي:

أ- قول عمر بن الخطاب لحذيفة بن اليمان –رضي الله عنهما- : "هل تعلم فيّ شيئا من النفاق"[54]؛ فإنه لم يرد بذلك نفاق الكفر بل نفاق العمل، كما استدلوا أيضا بوصف النبي –صلى الله عليه وسلم- له بـ (الخالص)، ولو كان نفاق الكفر لما احتاج إلى هذا الوصف، ومعنى (كان منافقا خالصا) أي: شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال.

ب- وقالوا إنما شبه صاحب هذه الخصال بالمنافقين لأن حقيقة النفاق إنما هي إظهار خلاف ما يبطن، وهو ذات المعنى الذي يلتمس في صاحب هذه الخصال من حيث هذه الحقيقة على إطلاقها، فكان الحمل في التسمية على المجاز لوجود شبه بينهما.

ج- وقيّد بعض العلماء هذا الوصف بمن كانت هذه الخصال غالبة عليه أو اعتادها حتى صارت له ديدنا وعادة، وأما الذي يندر فيه مثل ذلك الوصف فليس داخلا في سياق هذا المعنى.

د- واستدل القائلون بهذا القيد بـ "إذا" في الحديث الشريف على أنها تدل على تكرر الفعل، واستدل آخرون بحذف المفعول لفعل "حدّث" على أن حذف المفعول يدل على العموم؛ فيصير المعنى إذا حدّث في كل شيء كذب فيه، أو يصير بمعنى إذا وجد ماهية التحدث كذب[55].

هـ- وقيد آخرون هذا الوصف بمن يحدّث بحديث يعلم أنه يكذب فيه، ويعهد عهدا يعلم أنه لا يفي به، وينتظر الأمانة للخيانة فيها.

وتعلق القائلون بهذا القيد بحديث سلمان الفارسي[56] –رضي الله عنه- قال: "دخل أبو بكر وعمر –رضي الله عنهما- على رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فقال: "من خلال المنافقين ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان". فخرجا من عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ثقيلين ، فلقيهما عليّ –رضي الله عنه- فقال لهما: "مالي أراكما ثقيلين؟" قالا: "حديثا سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من خلال المنافقين إذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان، وإذا وعد أخلف". فقال عليّ : "أفلا سألتماه؟" فقالا: "هبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم". فقال: "لكني سأسأله"، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "لقيني أبو بكر وعمر، وهما ثقيلان"، ثم ذكر ما قالا: فقال: "قد حدثتهما، ولم أضعه على الموضع الذي يضعونه، ولكن المنافق إذا حدث وهو يحدث نفسه أنه يكذب، وإذا وعد وهو يحدث نفسه أنه يخلف ، وإذا ائتمن وهو يحدث نفسه أنه يخون"[57].

تنبيه: المقصود من الاستدلال بالحديث المذكور أعلاه –رغم الكلام الوارد على إسناده– هو الاستشهاد لقول أصحاب هذا الوجه فقط.

و– ولقد بيّن الإمام النووي أن حمل الأحاديث المذكورة على النفاق العملي هو قول العلماء المحققين، وأنه صار إليه الأكثرون، ورجح أنه هو الصحيح المختار[58]، وكذا قال الحافظ ابن حجر في "الفتح"[59] والإمام القرطبي في تفسيره[60].

ونقل الإمام الترمذي هذا المعنى عن العلماء مطلقا، فقال –بعد أن ساق حديث "أربع من كن فيه كان منافقا.."– قال: "إنما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل"[61].

- الوجه الثاني: أن المراد بـ (النفاق) في الأحاديث المذكورة هو الإنذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال التي يخاف على المسلم إن هو فعلها واعتاد ارتكابها أن تفضي به –بعد طول اعتياد– إلى حقيقة النفاق.

وهذا القول ارتضاه الإمام الخطابي[62]، إلا أنه ذكر أيضا أن يحتمل أن المتصف به بذلك هو من اعتاد ذلك وصار له ديدنا[63].

- الوجه الثالث: أن المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن رسول الله –صلى الله عليه وسلم، فهم الذين حدثوا بايمانهم وكذبوا، ووعدوا في أمر الدين ونصره فأخلفوا، وائتمنوا على دينهم فخانوا، وفجروا في خصوماتهم.

وذكر الإمام النووي بأن هذا القول مروي عن ابن عمر وابن عباس وهو رأي سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري، وقال القاضي عياض: " وإليه مال كثير من أئمتنا"[64].

وحكى الخطابي أيضا أن هذا الحديث المبارك ورد في رجل بعينه منافق، وكان هدي النبي –صلى الله عليه وسلم– ألا يواجه الناي بقول صريح فيقول فلان منافق، وإنما كان يشير إشارة مثل قوله: "ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا؟!"[65].

وذكر الحافظ ابن حجر هذا الرأي والرأي الذي قبله، ثم تعقبهما بعد ذلك بقوله: "وهذه الأجوبة كلها مبنية على أن اللام في المنافق للجنس، ومنهم من ادعى أنها للعهد، فقال إنه ورد في حق شخص معين أو في حق المنافقين في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– وتمسم هؤلاء بأحاديث ضعيفة جاءت في ذلك لو ثبت شيء منها لتعين المصير إليه، وأحسن الأجوبة ما ارتضاه القرطبي، والله أعلم"[66].

❖ **حكم من اتصف من المسلمين بصفات المنافقين وخصالهم:**

اتفق العلماء المحققون على أن من اتصف بهذه الخصال –بعضها أو جميعها– ولو متعمدا لا يكون كافرا أبدا:

–**قال ابن العربي**[67]–رحمه الله– : "والذي عندي أنه لو غلبت عليه المعاصي ما كان بها كافرا ما لم يؤثر الاعتقاد".

-**وقال العلامة القرطبي**[68]-رحمه الله-: "قال علمائنا: إن إخوة يوسف –عليهم السلام- عاهدوا أباهم فأخلفوه، وحدثوه فكذبوه، وائتمنهم على يوسف فخانوه؛ وما كانوا منافقين"[69] وعلى ذلك قامت الأدلة الواضحة.

-**وقال الإمام ابن رجب**[70] -رحمه الله-: "ولا ريب أنه متى ضعف الإيمان الباطن لزم منه ضعف أعمال الجوارح الظاهرة أيضا، لكن اسم الإيمان ينفي عمن ترك شيئا من واجباته كما في قوله: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..)[71]، وقد اختلف أهل السنة فيه: هل يسمى مؤمنا ناقص الإيمان، أو يقال: ليس بمؤمن لكنه مسلم؟ على قولين... وأما اسم الإسلام فلا ينتفي بانتفاء بعض واجباته أو انتهاك بعض محرماته، وإنما يُنفى بالإتيان بما ينافيه بالكلية، ولا يعرف في شيء من السنة الصحيحة نفي الإسلام عممن ترك شيئا من واجباته كما يُنفى الإيمان عمن ترك شيئا من واجباته، وإن قد ورد إطلاق الكفر على فعل بعض المحرمات، وإطلاقُ النفاق أيضا، وقد اختلف العلماء هل يسمى مرتكب الكبائر كافرا كفرا صغيرا، أو منافقا النفاق الأصغر؟ ولا أعلم أن أحدا منهم أجاز إطلاق نفي اسم الإسلام عنه.. "[72].

❖ **شروط في خصال النفاق العملي (النفاق الأصغر)** :

ذكر حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي[73] -رحمه الله- أن خلف الوعد بالصورة التي في الحديث إنما "ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف، أو ترك الوفاء من غير عذر، فأما من عزم على الوفاء فعنّ له عذر منعه من الوفاء؛ لم يكن منافقا وإن جرى عليه من هو صورة النفاق"[74]، وقد يستدل لهذا بما رواه زيد بن أرقم[75] –رضي الله عنه- عن النبي –صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إذا وعد الرجل وينوي أن يفي به فلم يفِ؛ فلا جناح عليه"[76].

نتائج البحث:

إن السنة النبوية الشريفة تناولت موضوع النفاق العملي بالشكل الواضح الذي لا لبس فيه، وبعد التتبع والاستقراء تبيّن للباحث أن الأحاديث المتعقلة به (أي النفاق العملي السلوكي) تصل إلى ثلاث أحاديث فقط، ونستنتج منها خمس خصال هي أصول النفاق العملي السلوكي، وهي: الكذب في الحديث، والخلف في الوعد، والغدر في المعاهدة، والفجور في الخصومة، والخيانة في الأمانة.

وبيّن العلماء الكرام الإشكالات الواردة في تلك الأحاديث بأن الخصال المذكورة فيها عدّ النبي الكريم –صلى الله عليه وسلم- المتّصف بها جميعا منافقا خالصا، أو من كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، ومخلص آراء العلماء فيها:

- الرأي الأول: أن الخصال المذكورة خصال النفاق، وأن صاحبها شبيه بالمنافقين، ومتصف بأوصافهم ومتخلق بأخلاقهم، لا أنه منافق في الإسلام.

- الرأي الثاني: أن المراد بـ (النفاق) في الأحاديث المذكورة هو الإنذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال التي يخاف على المسلم إن هو فعلها واعتاد ارتكابها أن تفضي به –بعد طول اعتياد– إلى حقيقة النفاق.
- الرأي الثالث: أن المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن رسول الله –صلى الله عليه وسلم، فهم الذين حدثوا بأيمانهم وكذبوا، ووعدوا في أمر الدين ونصره فأخلفوا... .

ويميل الباحث –رغم التقصير العلمي– إلى تفضيل الرأي الأول، وذلك لقوة الأدلة ووضوحها نظر الباحث، وأيضا لاتفاق العلماء الكرام على أن المتصف بهذه الخصال –بعضها أو جميعها– ولو متعمدا لا يكون كافرا، والله أعلم.

.....

الهوامش

[1]– هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تلمذ على الإمام الآمدي والإمام ابن تيمية، كان إمامًا في التفسير والحديث والتاريخ، ترك مؤلفات كثيرة قيمة أبرزها (البداية والنهاية) في التاريخ، وكتاب (تفسير القرآن العظيم)، توفي في دمشق عام 774هـ رحمه الله. ينظر في ترجمته: (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر:17/1)، و(شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي: 1/ 67)، و(الأعلام: الزركلي:320/1)، و(طبقات المفسرين للداودي: 110/1–112)، و(ابن كثير الدمشقي للدكتور/ محمد الزحيلي).

[2]– ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المشهور بتفسير ابن كثير: 49/1 ، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م.

[3]– الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: صـ 524.

[4]– أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي (المتوفى: 301هـ)؛ صفة النفاق وذم المنافقين: صـ 47، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ - 1985م.

[5]– هو شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، ولد بحران سنة 661هـ وتوفي في سجن قلعة دمشق سنة 728هـ، جاهد باللسان والسنان، برع في العلوم الشرعية مثل: العقيدة والتفسير والحديث والفقه، وعلوم اللغة والكلام، وتزيد مؤلفاته على ثلاثمائة مجلد وأشهرها: (مجموع الفتاوى) و(منهاج السنة) و(درء تعارض العقل والنقل) وغيرها. للإستزادة ينظر: (ابن كثير: البداية

والنهاية: 135/14) و(الذهبي: سير أعلام النبلاء:)، و(ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 144/1) و(ابن قدامة: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية).

[6]- ابن تيمية ؛ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: 520/7 ، ترتيب: عبد الرحمن القاسم وابنه محمد، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى 1425- 2004م.

[7]- أما سورة النساء، فلقول أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها-: "وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده" تعني رسول الله –عليه الصلاة والسلام- ، ولا خلاف بين العلماء في أن الرسول –عليه السلام- بنى بعائشة بعد الهجرة، وأما سورة "محمد" فلقول الإمام القرطبي في تفسيره (206/16) : "مدنية في قول ابن عباس، ذكره النحاس. وقال الماوردي: في قول الجميع إلا ابن عباس وقتادة فإنهما قالا: إلا آية منها نزلت عليه بعد حجة الوداع".

[8]- ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 133/20، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ / 1988م.

[9]- سورة التوبة، الآية:107.

[10]- سورة آل عمران، الآية: 188.

[11]- أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: من غشنا فليس منا): 99/1 رقم الحديث (101).

[12]- ابن رجب؛ جامع العلوم والحكم: صـ 545.

[13]- سورة التوبة، الآية: 77.

[14]- متفق عليه، البخاري: رقم الحديث (6094)، ومسلم: رقم الحديث (2607) واللَّفظ له.

[15]- سورة المنافقون، الآية: 1.

[16]- تفسير الطبري: 100/13.

[17]- تفسير ابن كثير: 317/4.

[18]- سورة التوبة، الآية: 42.

[19]- سورة المجادلة، الآية 18.

[20]- ابن القيم؛ الفوائد: صـ 135. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1393 هـ - 1973 م

[21]- نفس الصفحة من المصدر السابق.

[22]- سورة التوبة، الآية: 77.

[23]- أخرجه البخاري في صحيحه، "كتاب الإيمان" (باب علامة المنافق) : 16/1 رقم الحديث (33)، وأخرجه مسلم في صحيحه، "كتاب الإيمان" (باب بيان خصال المنافق): 78/1 رقم الحديث: (109)

[24]- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 246/7.

[25]– رواه أحمد في المسند: 268/6 رقم الحديث (26355)، والهيثمي في مجمع الزوائد: 142/4 وصحّحه، والبيهقي 20/6 رقم الحديث: (11423) ، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) برقم :(2062).

[26]– ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي، ولد عام 384 هـ بقرطبة وتوفي عام 456 هـ بولبة (مدينة جنوب الأندلس)، إمام حافظ، فقيه ظاهري، ومتكلم وأديب وناقد، صاحب التأليفات العظيمة الكثيرة، وأشهرها (المحلى شرح المجلى) و(الإحكام في أصول الأحكام) و(الفصل في الملل والأهواء والنحل) وغيرها. ينظر في ترجمته: ، و(الذهبي: سير أعلام النبلاء، 18/ 184)، و(ابن كثير، البداية والنهاية، 569/6)، و(عبد الكريم خليفة: ابن حزم الأندلسي)، و(محمد أبوزهرة: ابن حزم حياته وعصره).

[27]– طوق الحمامة في الألفة والألاف؛ ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي الظاهري: صـ 205 ، تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ، الطبعة: الثانية – 1987 م.

[28]– سورة التوبة، الآية: 48.

[29]– ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم: 160/2.

[30]– سورة الأنفال، الآية: 58.

[31]– الطبري:جامع البيان: 238/11.

[32]– سورة الأحزاب، الآية: 15.

[33]– سورة التوبة، الآيتان: 75-76.

[34]– ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 183/4.

[35]– رواه الترمذي، كتاب البيوع: 565/3، (باب ما جاء في النهي للمسلم أن يدفع إلى الذمي الخمر يبيعها له)، رقم الحديث (1264) وقال الترمذي: حسن غريب.

[36]– صحيح البخاري:487/4، كتاب البيوع، (باب إثم من باع حرا)، رقم الحديث (2227).

[37]– صحيح مسلم:357/3، كتاب الجهاد والسير (باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها)، رقم الحديث (4522).

[38]– صحيح البخاري:41/8 ، كتاب الأدب (باب ما يدعى الناس بآبائهم)، رقم الحديث (6177)، وصحيح مسلم مع شرح النووي: 412/12، كتاب الجهاد والسير (باب تحريم الغدر) رقم الحديث (1735) .

[39]– بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد الأبشيهي (أبْشيه) قرية من قرى الفيّوم، المولود 790هـ، أديب مصري، درس الفقه والنحو، توفي سنة 852 هـ، له تصنيفات من أشهرها: (المستطرف). ينظر في ترجمته: (الزركلي؛ الأعلام: 332/5، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الخامسة عشرة 2002م)

[40]– الأبشيهي؛ المستطرف في كل فن مستظرف: صـ 217، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية 2008م.

[41]– سورة الفتح، الآية: 10.

[42]– ابن أبي الدنيا، ذم البغي: صـ 88.

[43]– سورة البقرة، الآية: 204.

[44]– تقدم تخريجه؛ أخرجه البخاري ومسلم.

[45]– أخرجه البخاري، رقم الحديث (2457).

[46]– متفق عليه، تقدم تخريجه.

[47]– لقوله –صلى الله عليه وسلم– :"بعثتُ بجوامع الكلم.." متفق عليه (أخرجه البخاري برقم (2977)، ومسلم برقم (523).

[48]– أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، "كتاب الإيمان"، (باب علامة المنافق) رقم الحديث (34)، وأخرجه مسلم في صحيحه، "كتاب الإيمان" (باب علامة المنافق) رقم الحديث (57)، وأخرجه أبو داود في "كتاب السنة" "(باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصه) رقم الحديث: (4688)، وأخرجه الترمذي في "كتاب الإيمان" (باب ما جاء في علامة المنافق) رقم الحديث: (2632).

[49]– تقدم تخريجه.

[50]– أبو بكر جعفر بن محمد المسْتَفاض الفِرْيابِي (المتوفى: 301هـ)؛ صفة النفاق وذم المنافقين: صـ 58 رقم الحديث (4)، حققه وعلّق عليه: أبو عبد الرحمن المصري الأثري، دار الصحابة للتراث، مصر الطبعة: الأولى، 1408 هـ الموافق 1988م.

[51]– أخرجه البخاري في صحيحه "كتاب الإيمان" (باب علامة المنافق)، رقم الحديث (34)، وأخرجه مسلم في صحيحه "كتاب الجزية" (باب إثم من عاهد ثم غدر) رقم الحديث (3178).

[52]– تقدم تخريجه؛ أخرجه البخاري ومسلم.

[53]– أبو عبد الرحمن ناصر الدين الألباني؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: رقم الحديث (545)، مكتبة المعارف الإسلامية – عمان، الأردن 1999م.

[54]– ابن حجر؛ فتح الباري: 90/1.

[55]– ابن حجر؛ فتح الباري: 90/1-91.

[56]– هو الصحابي أبو عبد الله سلمان مابه بن يوذخشان، من بلاد فارس، وقصة طلبه لدين الحق مشهورة، وهو الذي أشار على الرسول عليه السلام بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، وكان حبرا عالما وزاهدا، وتوفي سنة 35هـ بالمدينة النبوية. **ينظر في ترجمته:** الاستعياب/ابن عبد البر (634/2)، وأسد الغابة/ابن الأثير(283/2)، سير أعلام النبلاء/الذهبي (317/3)، الإصابة/ابن حجر (367/2).

[57]– أخرجه الإمام أبو داود في سننه رقم الحديث (4995)، والإمام الترمذي في سننه رقم الحديث (2635) وقال: (حديث غريب وليس إسناده بالقوي)، وأخرجه الإمام الطبراني في (المعجم الكبير) برقم (6186)،

وضعّفه الشيخ الألباني في (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: 1001/3) وقال: (ضعيف للجهالة والاضطراب).

[58]- النووي؛ شرح صحيح مسلم: 40/2.

[59]- ابن حجر العسقلاني؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري: 90/1.

[60]- القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن الكريم: 137/8.

[61]- سنن الترمذي (19/5).

[62]- هو أبو سليمان حمد بن إبراهيم بن خطاب الخطابي البُستي (نسبة إلى مدينة بُسْت؛ وتسمى اليوم "لشكركاه" وهي عاصمة ولاية هلمند في أفغانستان) ولد عام 319هـ، ورحل في طلب العلم إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر وبغداد والبصرة ومكة وغيرها، وكان إماما حافظا فقهيا شافعيا مبرزا على أقرانه، وكان لغويا شاعرا وأشهر كتبه "شأن الدعاء" و"معالم السنن" في شرح سنن أبي داود، و"أعلام السنن" في شرح صحيح البخاري، وتوفي سنة 388هـ بمدينة بست. **ينظر في ترجمته:** (وفيات الأعيان؛ ابن خلكان: 214/2) و(تذكرة الحفاظ؛ الذهبي: 149/3) و(معجم المؤلفين؛ رضا كحالة: 61/2).

[63]- الخطابي؛ معالم السنن في شرح سنن أبي داود: 316/4، كتاب شرح السنة، باب من الرد على المرجئة، دار المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: الأولى 1351 هـ - 1932م.

[64]- النووي؛ شرح صحيح مسلم: 40/2-41.

[65]- النووي؛ شرح صحيح مسلم: 40/2.

[66]- ابن حجر؛ فتح الباري: 91/1.

[67]- ابن حجر؛ فتح الباري: 169/1 [كتاب الإيمان، باب علامات المنافق].

[68]- أبو عبد الله محمد بن أحمد، ولد بقرطبة عام 600هـ، وتعلم اللغة وعلومها والعلوم الشرعية بها، وهو من كبار المفسرين وكان فقيهًا ومحدثًا ورعًا وزاهدًا متعبدًا، وأشهر كتبه (الجامع لأحكام القرآن) و(والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) وغيرها، وتوفي بمصر بالمنيا عام 671 هـ. **ينظر فيه** (تذكرة الحفاظ للذهبي: 1114/4) و(الأعلام؛ للزركلي: 217/6).

[69]- القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن الكريم: 138/8.

[70]- هو الإمام الحافظ أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي الشهير بابن رجب، ولد ببغداد 736 هـ، محدث وواعظ، وأشهر كتبه: (جامع العلوم والحكم في شرح أربعين من جوامع الكلم) و(ذيل طبقات الحنابلة) وتوفي بدمشق 795 هـ. **ينظر فيه** (الأعلام للزركلي: ٣٢٧/3).

[71]– أخرجه البخاري: 434/1 [كتاب المظالم، باب النهي بغير إذن صاحبه: رقم الحديث: 2475]، وأخرجه مسلم: 76/1، [كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، رقم الحديث: 57].

[72]– ابن رجب؛ جامع العلوم والحكم: صـ 38-39.

[73]– أبوحامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الشافعي الأشعري الملقب بـ "حجّة الإسلام"، ولد عام 45هـ،كان فقيهاً وأصولياً، وصوفيا ومتكلما، وأشهر كتبه (إحياء علوم الدين) و(المستصفى في علم أصول الفقه) وغيرها، وتوفي في مدينة طوس عام 505 هـ. **ينظر فيه** (السير للذهبي327/19)، و(وفيات الأعيان لابن خلكان98/1).

[74]– أبو حامد الغزالي ؛ إحياء علوم الدين: 116/3، دار ابن حزم، الطبعة الثانية 1426هـ - 2005م.

[75]– هو أبو عمرو زيد بن أرقم بن زيد الخزرجى، شارك النبي –عليه السلام– في سبع عشرة غزوة، ورى عنه نحو سبعين حديثا، ونزل القرآن تصديقاً له لما أنكر عبد الله بن أبيّ (رئيس المنافقين) مقولته في النبي –عليه السلام– (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ)، وتوفي بالكوفة سنة 66هـ.

ينظر فيه: (الإصابة لابن حجر:488/2) و(السير للذهبي: 167/3) و(تهذيب الكمال للمزي:10/10).

[76]– أخرجه أبو داود [كتاب الأدب، باب في العدة]: 268/5 رقم الحديث (4995)، وأخرجه الترمذي [كتاب الإيمان، باب ما جاء في علامة المنافق]: 20/5 رقم الحديث (2633)، وقال: هذا حديث غريب وليس إسناده بالقوي،